المحاضرة السابعة : الجهود اللسانية العربية الحديثة

تمهيد :

إن ما يميز الجهود اللسانية العربية الحديثة، هو تبني المنهج العلمي في دراسة اللغة العربية ، ووصفها وصفا موضوعيا قائما على التحليل الوصفي بدلا من الأحكام المعيارية. ويتمثل هذا التوجه في محاولة تطبيق لنظريات اللسانية الغربية الحديثة، مع الاستفادة من التراث اللغوي العربي.

وهذه إشارات لأهم التيارات والمناهج اللسانية الغربية الحديثة التي نهجن عليها الأبحاث اللسانية العربية الحديثة، في الوطن العربي مشرقه و مغربه.

أولا : جهود اللسانيين العرب المحدثين المشارقة

تعود جذور اللسانيات العربية الحديثة إلى الأربعينيات من القرن الماضي، بدأت إرهاصات المنهج الوصفي في الثقافة العربية، و قد تبلورت معالم هذا التوجه ، بعد عودة اللساني إبراهيم أنيس(ت : 1976 م)، لذلك يوعز ظهور اللسانيات العربية الحديثة إلى ظهور كتابه " الأصوات اللغوية : 1947 م " بعد عودته من البعثة العلمية. و قد ساد هذا التوجه و ترسخ في الثقافة العربية بفضل الجهود التي أعقبت اللساني إبراهيم أنيس، والتي عرفت أبرز تجلياتها في جهود تلامذته، و جهود بعض العائدين الجدد من المدرسة نفسها التي تخرج منها . وكان من أبرز هؤلاء: عبد الرحمان أيوب ،و تمام حسان ،و كمال بشر، و محمود السعران .. و يمكن التمثيل بنماذج ، منها :

* تمام حسان و نتاجه اللساني العربي :

يعد اللساني تمام حسان (ت : 2011 م)، من الباحثين العرب المحدثين الذين تبنوا المنهج اللساني الحديث المتمثل في المنهج الوصفي، في الاتجاه الوصفي البنيوي، و هو ينهل من التراث اللغوي العربي الذي لا ينضب معينه ن و ذلك من خلال محاولة قراءة التراث اللغوي العربي قراءة ناقدة و فاحصة ، مع ربط ذلك كله بالمنهج اللساني الغربي الحديث ن و محاولة استخلاص مفاهيم و مصطلحات .. ملائمة لطبيعة اللغة العربية، و خصائصها المائزة لها من سائر اللغات الطبيعية .و يمكن تلمس بعض النتائج المتوصل إليها ، من خلال آراء و إسهامات تمام حسان في حقل الدراسات اللغوية العربية من حيث التنظير و المنهجية ، كما صرح بذلك في مقدمة كتابه " مناهج البحث في اللغة : 1990 م " قائلا : " و لكنني لا أستطيع أن أعمض حق النظرية التي بنيت عليها هذه الدراسة ، وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب ، فهيكلها غربي و تطبيقها على اللغة العربية، و هو القسط الذي أنا مسؤول عنه ، في هذا الكتاب . " و أما ما قاله في مقدمة كتابه" اللغة

العربية " فهو قوله " أن ألقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي ، في دراسة اللغة ، و هذا التطبيق الجديد للنظرية الوصفية في هذا الكتاب يعتبر أَجرأْ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه و الجرجاني ."

*** تمام حسان و نظريته اللغوية العربية (جهوده) :**

كما هو معلوم، أن تمام حسان من المستفيد من البعثة العلمية إلى أوربا (إنجلترا) ، و هو تلميذ اللغوي فيرث مؤسس المدرسة السياقية الإنجليزية . و قد تأثر بها وبلور أفكاره من منظور المزاوجة بين التراث اللغوي العربي في الثقافة العربية الإسلامية ، و المناهج الغربية الحديثة التي تشبع بها . ومن هذا المنطلق ، رأى أن النحو العربي في عمومه هو " شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم بها كل علاقة منها عند وضوحها في مقام القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها و بين القرائن اللفظية في السياق. و القرئن المعنوية في النموذج النحوي ، هي قرينة الإسناد بفروعها ، و قرينة التخصيص بفروعها ن و قرينة النسبة بفروعها .." و قد تناول هذا بوضوح في كتابه اللغة العربية ، في مبحث القرائن اللغوية بقسميها : اللفظية و المعنوية . و بالقرائن اللغوية استبدل نظرية العامل الذي تأسس عليها صرح النحو العربي .

*** بنية النحو العربي :**

ركز تمام حسان في نقده للتراث اللغوي العربي على النحو العربي بدءا من جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 175هـ) و سيبويه (ت : 180 هـ) " النحو البصري " ذو النزعة العقلية / و النحو الكوفي ذو النزعة النقلية " و تمام حسان قد احتذى النحو البصري أنموذجا ، و هو مبني على مجموعات مقولات ،و هي بمثابة الأسس المنهجية التي تتمثل في ما يلي :

- الكلمة ، وحدة الجملة و من ثم كانت الوحدة في الصرف و المعجم ، لأن كل التغيرات الصوتية و الصرفية و الإعرابية تخصها .

– نقل التقسيم الثلاثي للكلم في العربية من التقسيم الثلاثي القائم على معيار المعنى إلى التقسيم السباعي الذي يقوم على معيار ثنائية المعنى و المبنى.

و من الأعمال المنجزة وفق المنهج الوصفي ،و هو الذي قامت عليه الدراسات الميدانية في اللسانيات التطبيقية ، و هو يمثل مذهبا ينتمي إلى الاتجاه البنيوي القائم على مفهوم البنية التي تدرس اللغة من خلاله بوصفها نظاما مغلقا .

" علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،" محمود السعران

" الأصوات اللغوية " ، إبراهيم أنيس

" علم اللغة " ، كمال بشر ،و غيرهم .

فكانت كتاباتهم مليئة بالحمولات اللسانية العربية، درسوا اللغة العربية من جميع مستوياتها (الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية و المعجمية .

ثانيا : جهود الباحثين اللسانيين العرب المغاربة

تتمثل إرهاصات الدرس اللساني في المغرب العربي في بدايات الثائر باللسانيات الغربية الحديثة بعد الاستعمار، حيث بدأت جهود لترجمة و توطين المصطلحات، و برزت أعمال رائدة للباحثين المغاربيين ، عبد الرحمان الحاج صالح (ت: 2017م) / و عبد السلام المسدي .

*** جهود عبد الرحمان الحاج صالح :**

أول ما قام به الباحث اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح ، وضع أصول للبحث العلمي في التراث اللغوي، و هذا نابع من أمانته العلمية و جديته في البحث العلمي .و قد فصل هذه الأصول في كتابه" السماع اللغوي عند العرب و مفهوم الفصاحة " .

– دفاعه بقوة عن خلو النحو العربي من المنطق الأرسطي في القرنيين الأولين ، و هذا الدفاع هو نتيجة معرفته و فهمه لمنطق أرسطو ، و معرفته الواسعة بالنحو العربي.

– تمكن من المقارنة الموضوعية بين البنيوية الغربية و النحو العربي في زمان الخليل و سيبويه، و وقوفه عند الفروق الجورية بينهما .

– إدخال ما يسمى بتكنولوجيا اللغة في البحث العلمي اللساني بمختلف تطبيقاته منذ سبعينيات القرن الماضي، لربح الوقت و الإنتاج الوفير من البحوث .

– صاحب مشروع الذخيرة اللغوية وحوسبة اللغة العربية .

– صاحب النظرية الخليلية الحديثة .

– تحديده لعلم اللسان ، و بعض مفاهيمه .

و يضاف إلى هذه الجهود ، جهود الباحث التونسي ، صالح القرمادي اللسانية : الترجمة و التعريب . و من ذلك ترجمة كتاب دوسوسير بالشراكة مع محمد عجينة و محمد الشاوش ، بعنوان " دروس في الألسنية العامة ".

– عبد السلام المسدي ، و جهوده في المصطلح اللساني ، من خلال كتابه " مباحث تأسيسية في اللسانيات " ، و " التفكير اللساني في الحضارة العربية ".

أما **المنهج التوليدي التحويلي** الذي أسسه تشومسكي فقد عرف بالصرامة في الدراسة اللغوية ، حيث انتقل من الوصف إلى التفسير. و من أهم الباحثين العرب البارزين فيه ، ميشال زكريا " التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية " ، و مازن الوعر " التراكيب الأساسية للغة العربية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية " ، و عبد القادر الفاسي الفهري " النظرية التوليدية التحويلية و أصولها في النحو العربي ".

و **المنهج الوظيفي** الذي تمخضت عنه نظرية النحو الوظيفي عند الغربيين، و مؤسسها سيمون ديك . و رائدها في البحث اللساني العربي الباحث المغربي أحمد المتوكل ، و من أهم إنجازاته في هذا المجال " دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ". و **المنهج التداولي** عند الغربيين الذي أسسه الثلاثي ج. أستين، و ج. سيرل، و هما مؤسسا نظرية الأفعال الكلامية ، و ب.غرايس مؤسس الاستلزام التخاطبي . و من أهم الإنجازت الباحثين العرب ، مسعود صحراوي " التداولية عند العلماء العرب ".

هذه بعض الإشارات إلى الجهود اللسانية العربية الحديثة ، في الوطن العربي ، مشرقه و مغربه .